

الوصي

أَقْصَوْصَ مَضْمُونِيَّة
بِسْمِ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ بْنِ خَيْرِ

غيطه ويلمن الأقدار التي حكمت هذا
الرجل فيه، وقد أخذت النار تنفذ إلى
جسمه، وشررها يتقد في عينيه، والفأس
ترنج بين أصابعه المرتجفة حتى لتحدنه
نفسه بأن يهوى بها على رأس الشيخ
مناع ذلك المالك فيحطمها لولا بقية

من رشد يذكر عندها ما هو فيه من صرامة اليم
والغافة فتهدأ ثورته وبعود إلى عمله؛ حتى إذا ما انصرف
الشيخ أتى بفأسه على الأرض ساخطا وعاد إلى
التفكير .

وكان رحمه من مزاولة الزراعة ضئيلا، فتركها
وانخرط في سلك المال الذين يشتغلون في تطهير الترع
وتقوية الجسور . ثم عدل عن هذا أيضاً وفكر في
أن يشتري مقدارا كافيا من التبنك يعر به على هؤلاء
المال وهو ينتقل في شتى البلدان التي يكثر فيها
بسبب مشروعات الري الجديدة. حتى اجتمع لديه من
المال قدر لا بأس به، فحدثته نفسه أن يزاحم صغار
المقاولين الذين يمهّد إليهم في تنفيذ تلك المشروعات
فنجح وأصبح في رغد نسبي من العيش . ولكن
عطية (وقد اشتهر بمطية الجحش) كان بطمع في
أكثر من ذلك : في ضياع وقصور، وفي جاء يساعده
على تحقيق أمانيه التي لا تقف عند حد والتي كان
من أشهاها أن يقف يوما ما في وجه ذلك الشيخ
ليصق منه حساب ذلك الماضي القاسي .

وإذا كان عطية قد تعلم مبادئ الكتابة
والقراءة وحفظ القرآن وقد وفق إلى جمع هذه الثروة
فإن كل ذلك لم يغير من أخلاقه التي انبعثت من
الشر وانجبت للشر؛ وما كان أبوه إلا لصاً خطيراً،
ولا أمه إلا امرأة سليطة اللسان شريرة . حتى إن

بناحية (أبو النرس) من قرى مديرية الجيزة
رجل في العقد الرابع مديد القامة نحيف الجسم خفيف
الشارب، وقدمات أبواه وهو صغير فشب يعمل أجيراً
في أطيان الملاك كغيره من فقراء الفلاحين .

وكان هذا الرجل طموحاً حسوداً لا ينحدر
إلى ركن غرفته المسقفة بسمف التخيل والقش قبل
أن يفكر في أحوال هؤلاء المحظوظين الذين يستمدون
الزراع في فلاحه أراضيهم وهم يقيمون في أحياء
القاهرة هائنين مطمئنين فيتملكه الفيض وبقبض
صدره عليهم بالحفيظة

ينظر إلى تلك الغرفة المظلمة الرطبة فيذكر
ما لهم من القصور والضياع، ويتناول طعامه البسيط
الحقير فيتمثل لعينيه ما ينعمون به من ألوان الطعام
الشهي . ولا ينتقل في الصباح المبكر إلى الحقل
وهو بعيد عن حدود القرية حتى يخيل إليه أنه يرى
عرباتهم الفخمة وخيولهم المظهمة تجري بهم وهم
غارقون في النعيم .

وهكذا يدب البغض في نفسه ويأخذ في النمو
على تماقب الأيام . وبخاصة كلما زار الناحية صاحب
الأرض التي يعمل فيها وهو يصبح في رجاله وفيه :
« يظهر أنك كسلان يارجل ، فمن الخير أن تلتفت
لمملك وإلا طردتك »

وعند ذلك يكب بفأسه على الأرض وهو يكظم

في العصر الحاضر، تمد من أسمى النماذج في مثل هذه
البحوث . ويتلخص رأيها في الزواج في كتاب
قيم من بين ما كانت ترسل إليه به :

القاهرة في ٢ فبراير سنة ١٩١١

عزيزي صادق

تسلمت كتابك فخب إلى المقام في تلك البلاد
المعجبية ببجالتها الشائخة البيضاء مما جعلني أغبطك
على اجتلاء مناظرها الساحرة . وكم كان لشرحك
مشاهد المرحلتين والمزاحقات فوق المثلج من الأثر
في نفسي حتى خيل إلي أن أمم بالطيران نحو هذه
الربوع لتشارك عيناى في الاستمتاع بها مع عينيك
الجملتين .

وكم سرني أيضا إقبالك على الدرس وأنت تشيد
بطلاوة الموضوعات التي تتلقاها كما سرني أنك من
رأى فيها أوجزته لك عن الزواج في العهد الحالي .

والواقع أن حجر الزاوية في الزواج السعيد هو
الحب المتبادل بين الزوجين لأنهما متى امتزجت
روحهما توحدت مصالحهما وامتنت من بينهما
أسباب الشجناء والقلق . ومثل هذا الحب يقتضى
اختلاطاً بين الجنسين، حتى إذا كانت في طبيعة كل
منهما جاذبية نحو الآخر كامنة ظهرت ونمت . نعم
إن آباءنا وأمهاتنا في عهد الحجاب كانوا يمتقنون مثل
هذا الاختلاط وينفرون منه ، ولكن الواقع أن
الرجل في ذلك العهد ما كانت لتقع عيناه إلا على
زوجه . وكذلك المرأة ، فكانت علاقة الحب تنشأ
بينهما بحكم هذه الصلة الضيقة واستمرارها . وكان
يساعد على ذلك ما كان الناس عليه من كرم الخلق
وإنكار الذات . فكان للزواج قديماً طابع روى
شفاف لا يتأثر بمغريات المادة . أما في عصرنا الحاضر

عنه السرى تبرأ منه كما تبرأ فيما مضى منها فكان
من الدين حلت عليهم لعنته واستوجبوا حقه

واتفق أن هذا الرجل الكريم كان ذات ليلة
عائداً إلى داره فشمس في جنح الظلام بمدة تقوص
في عنقه وفي صدره شجر صريماً . وقد أقام هذا
الحادث رجال الحفظ وأقدمهم ، وبالرغم من عثورهم
فوق جانب من سور الحديقة على أثر كف ملوثة
بالدم فأنهم لم يهتدوا إلى القاتل ولا إلى تلك المديّة .
وقد رأوا أخيراً أن وقوع هذه الجريمة كان لمجرد
الانتقام فاتجه خاطرم إلى عطية الجحش لأنه ابن أخيه
وابن أبيه ... وقد قوى هذه القرينة اختفاؤه من
أبو النمرس مسقط رأسه، فحكم عليه بالإعدام غيايباً .
ويظهر أن القاتل كان قافلاً قبل وقوع هذا الحادث،
وأحسن دنواً أجله فأقام الشيخ مناع صديقه وصياً
مختاراً على ولده صادق . وهكذا انتقل قصره وأملاكه
التي في أبو النمرس إلى يد الشيخ فقام على إدارتها
وعنى بتربية القاصر ، حتى إذا حصل على شهادتي
الدراسة الابتدائية والثانوية — كما حصلت عليها
وسيمة كريمةته — أوفده إلى إحدى جامعات
التجارة بسويسرا، كما خصص لها أساندة يحاضرونها
في الدار لإتمام ثقافتها

أما صادق ففتى صبوح الوجه حلو السمائل، كما
أن وسيمة فتاة جذابة رشيدة الحركات، فكان من
ذلك ومن ظروف اجتماعهما تحت سقف واحد أن
وقعت من نفسه كما وقع من نفسها . وساعد على نحو
هذه الماطفة الطبيعية ما سبق في نية أبيها من أن
يزوجه منها إكراماً لذكرى ذلك الصديق

وهكذا كانا يتكاثبان في رسائل تفيض تارة
بالحب وتارة بأحوال المجتمع أو الزواج وما تطور إليه

الزواج إلا بها — ما دمت لا تترشح عن هذا الأساس فقل على الأسرة السلام

(رسمة)

وقد بلغ من حب الشيخ لابنته أنه كان لا يمرض لحريتها في الكتابة إلى خطيبها على أي نحو تراه وهو يعلمها مثقفة عاقلة رزينة حتى كانت دائماً البادية في عرض ما تكتب عليه . وكم كان يلتذ بالموضوعات التي تخوضها والأسلوب الذي تصوغها فيه . وكثيراً ما كان يناقشها وتناقشه وهي تعترف بخطئها إذا رآه على حق ولكنها ما كانت لترميه بالخطأ إذا ابتعد عن الصواب ، فيدرك هذا الأدب منها وهو ينظر إليها في حنان ورفق ممجياً بشعورها معترفاً بها

وكان الشيخ قد جاوز الستين وهو نحيل يشمر بالضعف فأقمنه الرومانزم الذي أصابه عن الحركة وأعجزه عن الاستمرار في إدارة مزارعه ومزارع صديقه حتى زارها ذات ليلة رجل كان قد تعرف به في بعض مجالس جيرانه اسمه عبد الرازق بك تأسر في العقد الخامس من عمره ، ولكنه قوى تدل ملاعقه على الخذل والشراسة ، إلا أنهما كانتا تحتفيان وراء حديثه اللطيف أو التكلف وبين حبات المسبحة التي كان لا يفتر يحركها بين أصابعه

وكان الشيخ مناع يملك في أبو النمرس حوالى مائة وخمسين فداناً جيدة التربة ، ومثلها لصديقه ، إلا أنها ارتفعت إلى مائتين بعد أن باع الشيخ منزله الذي لم تعد لصادق حاجة به لبعده عنه فمرض عليه هذا الزائر أن يستأجرها جميعاً . وكانت فرصة سانحة فلم يتردد الشيخ في إجابة هذا الطلب ، وقد قبل الرجل الشروط التي عرضها والقيمة التي قدرها كما

فقد قام منها سد منيع بين الميون والنور فلم يعد الزواج إلا صفقة بين طرفين لا يجمعهما ذلك الرباط المعنوي التجانس وإنما هو رباط من المصلحة في صورها المختلفة من مال أو جاه أو غيرها . وهكذا يبيع الفتى شبابه لمن هو أكبر منه سنًا ليعيش عالة عليها . وتسلم الفتاة في نفسها لا شيء إلا إشباع أهوائها ومطامعها . وكل ذلك تحت ستار من الشريعة التي ما كانت حمايتها لغير ما يتفق مع النوااميس الطبيعية وعندى أن الفتاة التي تسقط لإطعام طفلها الجائع أو مساعدة أمها المحرمة البائسة لأكرم ألف مرة من تلك العذراء التي لا ترقى إلى سرير الزوجية إلا لتناول المال الذي فوقه لترضى به شهوات زينتها وجنونها . ولذلك فكل علاقة تتم على أساس بعيد عن تلك النوااميس ، ولا تقوم إلا على غاية مادية أو مطمع يدفع إليه حب الذات ، ليست في نظري إلا دعة في أوسع ممانيتها وإن اختفت عنا حقيقتها تحت غلاف من عقد رسمي على يد مأذون

وكثيراً ما يتعدى هذا الاستهتار أشخاص المتزوجين إلى آبائهم وأمهاتهم فيضحون بهم على هياكل أغراضهم كأنهم من بعض السلع التي يتجرون بها لا يهمهم من أمرها أن يكون المشتري لها شيخاً أو شاباً . ولذلك أصبحنا اليوم أمام أزمة خطيرة قامت حائلاً دون تحقيق الناية المشروعة من الزواج وهي أن يكون طرفاء شريكين متضامنين لمواجهة أعباء الحياة

وما دمتنا على هذا الاعتبار من المغالاة في المهور لمجرد النباهي، ومن سوء التدبير في اختيار الشريك الصالح، ومن البعد عن الروح الحقيقية التي لا يترعرع

وبين خطيبها - فتشور نفسه . ويتمنى لو أنها في يوم من الأيام تكون له فينزلها عن كبرياتها ويخضعها لسلطانها .

وكانت هي أيضاً في خلال هذا السكوت تحال هذا المخلوق الغريب الكريه الذي يتم ظاهره عن باطن غامض خبيث . ثم يتحدث نفسها كيف يطمع مثل هذا الرجل في أن يكون يوماً ما زوجاً . بل من هي تلك الفتاة التي تقبل أن تدفن شبابها بين ساعديه إلا إذا كانت على شاكلة : والطيبون للطيبات ، والخبيثون للخبيثات

أما صادق الذي كان قد انتهى من دراسته فقد اضطر إلى البقاء في سويسرا نظراً لقيام الحرب العالمية الماضية . وكانت مدة الايجار قد انتهت فانقطع المستأجر عن زيارته ، وحدث وسيمة الله على هذه الفرصة التي من شأنها أن تنقطع صلته بابيها وكانت كتب صادق قد انقطعت عن وسيمة فأرجعت ذلك إلى صعوبة المواصلات بسبب الحرب العامة . ولكن كم كانت دهشتها حين وصل إليها كتاب منه يشكو فيه ما حل به من الضيق ويلعن هذه الحرب التي كانت سبباً في عدم وصول نقود إليه ... حتى باع ساعته وخاتمته وبمض ملابسه وكتبه ليحفظ بثمنها القليل رمقه ...

ولكن الشيخ من عهد انتهاء العقد احتجب في غرفته وظهرت عليه آثار الهم وبواعث التفكير . ولقد كانت وسيمة فيما مضى إذا أقبلت عليه هنس لها وأنس بها فأصبح إذا وقع نظره عليها اضطرب وأخذ يتحدثها وصوابه بعيد ونظراته ساجدة ضالة . وهو مع ذلك يحاول أن يظهر أمامها في مظهره الطبيعى ، ولكن تكلفه ما كان ليخفى عليها وهي

أنه أبدى استمداده لدفع نصف إيجار المدة كما هو معمول . وهكذا عاد إليه في اليوم الثاني ومعه صورتان من اللقد ، أخذ بتلوه عليه حتى إذا انتهى وقعا عليهما واحتفظ الشيخ باحدهما وأودعها خزانته

وبحكم هذه الصلة الجديدة كان عبد الرازق بك يزور الشيخ من وقت لآخر . وكثيراً ما كان يلتقي وسيمة وهي تطالع كتاباً أو تهجي رسالة أو تشتغل بالآلة في زر كشة ، فيحدثها ويحبه ولكن بغير أن ترفع عينها فيه لأنها كانت إذا نظرت إليه تولاهما الفزع وشمرت بالخوف . وحاجباه الكثيفان يرتفعان وينخفضان كلما تقلصت عضلات جبينه عندما يتكلم حتى لكانت لهما من بعض تلك الكتل الحديدية التي يستعمل بها الرياضيون في حركاتهم البدنية . ونحت كل حاجب منهما حفرة غائرة استقرت عند قاعها إحدى عيني الصغيرتين وهما تبرزان وتختفيان وتنسع حدقتاهما وتضيقان بتأثير الحديث كأنهما عدستا جهاز تصوير شمسي تتحركان بتأثير ما ينعمر المراثيات من الظلمة أو النور . وكان إذا ضحك انفجرت شفاه المايظتان عن أسنان صفراء برز من بينها نابان كنانى الدثب . وفي تموجات ضحكه ما يشبه قرقرة المساء في قنينة « النرجيلة » أو هدير الأمواج وهي ترتطم بجوانب خليج ضيق وكان إذا يئس من تلطفها معه ساد سكوت طويل يتناول في خلاله هذه الفتاة الخلابة المثقفة المتعالية التي تجرح دائماً عزته بسلوكها هذا معه ، وهو رجل غنى جميل الهندام في ثوبه الأفرنكى ، وساعته الذهبية وحذائه اللامع ورباطة رقبته الحربرى وهو يتموج حول دبوس من اللؤلؤ الثمين رشقه فيه وكان قد علم بحكم اختلاطه بابيها بالصلة التي بينها

— وهكذا ...

— وهكذا لم يكن تمجيده لنصف الإيجار وموافقته على كل شروط أبيك إلا ليومعه بمقدرته من جهة، وليلهيه عن حقيقة ما يبتله من جهة أخرى. وهكذا سجل العقد وانتقل إلى اسمه التكليف فأصبح المالك بغير منازع. ولو أن ما وقع اقتصر على ما كنا لمان الأمر ولكنه تناول أطيان ذلك الفتي المسكين. وقد لوح هذا المجرم لأبيك بأن المجلس الحسبي قد يقف على مثل هذا التصرف قبض تحت طائلة المسؤولية وتصبح سمته مضرة في أفواه الناس. ولعله بهذا التلويح كان يحاول الضغط عليه ليقبل ما طلبه بشأنك. ولكنه رفض.

وعند ذلك انحدرت مدايمها وقد أكبرت هذا الأب الرحيم الذي عثر عليه أن يبيها بالرغم من هذا الذي أصبح فيه. وقد أدركت أيضاً سر انقطاع النقود عن خطيبها كما أدركت خطر الهاوية التي أصبحوا جميعاً عند حاقها فمزمت على مواجهة أبيها، ولكنها أسرعت قبل ذلك فباعت ما كان لها من حلى وأضافت إلى ثمنه ما كانت قد اقتصدته ثم أرسلت بذلك كله إلى صادق وهي توصيه بالاقتصاد في مثل ذلك الوقت الذي ارتفعت فيه أسعار الحاجات وأصبحت الأطيان يكاد يرادها لا يكفي إلا لمصاريفها وما عليها من الأموال. وبمذ ذلك اندفعت إلى غرفة أبيها

— أنت هنا ياوسيمة ؟

— نعم يا أبي

— لقد ساءت صحتي؛ وكم أتعنى لو أن ساعتى

تحيين فاستريح من هذا العذاب

— بل تعيش يا أبي. وستنجلي هذه الغمرة

حيرى لا تفهم سبب هذا التغير الذى طرأ عليه على أنها لم يفهم أنها تكشف سر آلامه بأسلوب غير محسوس، إلا أنه كان يتعلل بالمرض وبشواغل الدنيا؛ فإذا ما سأله عن هذه الشواغل عاد فنفاها وهو يتعلل ويرسل إليها نظرات دامعة كأنه يتوسل بها عندها لتكف عن تمزيقه.

وعند ذلك رأت أن تلجأ إلى الجانب اللين وهو أمها ولكنها ما كادت تخاطبها في شأن أبيها حتى انهمرت دموعها وخنقها البكاء.

— لآنلجى يا ابنتى فتمجلى الأيام الباقية له بعد تلك الصدمة التى أصابته

— أية صدمة يا أمى ؟ وكيف لم أعلم بها ؟ تكلمى بالله. إن هذه الصدمة إذا كانت تتناولنى أنا أيضاً فقد أصبح من حق أن أقف عليها. وإذا كانت تقتصر عليه وحده فإننى هذا الحق أيضاً لأنه أبى ...

— إن ذلك المستأجر الذى تمهدبته خاطبه في شأنك

— في شأنى أنا ؟ تريد أن يسمي للزواج منى ؟ ان أب لن يقبل ذلك. على انى لأرى في ذلك ما يدعو إلى هذا الملم الذى أصبح فيه. فلم لم يصبق في وجهه ولم لم يطرده ؟

— هيهات ياوسيمة

— هيهات ؟ إذن وراء هذا الطلب ما هو أمره

— لقد انخدع أبوك بمظهر هذا الرجل بل

هذا الشيطان. ولعلك تذكرين أن عقد الإيجار كان لثلاث سنوات، فهذا العقد لم يتجدد لانتهائها، ولكن لأن ذلك الرجل جعله عقد بيع وبسلامة نية أبيك اكننى بأن يتلوه عليه ثم احتفظ بصورة من غير أن يطلع عليها.

إن شاء الله . ولكنى أطلب اليك شيئاً أرجو ألا يفضبك

— وما هو يا ابنتى ؟

— أن نجيب ذلك الرجل إلى ما طلبه منك

بشأنى

— أنا ياوسيمة ؟

— نعم .

— ومن العجيب أنك أنت التى تطلين ذلك .

فلم ؟

— لا انتقم

لم تقدم وسيمة على هذه التضحية إلا لتصون أولاً سمعة أبيها التى تهدها المستأجر بذلك التلويح، لأنه بحكم هذه الصلة لا يجرؤ على تنبيه المجلس ولو من طريق غير مباشر . ولكن تبقى بعد ذلك أطيان صادق التى يجب أن تموده وما كان له يد فى ضياعها . هذا ما فكرت فى توجيه جهودها إليه بعد أن تفرض سلطانها على هذا الغاصب الماتى الحفير

ومن غير شك أن سروره بتمام هذا الزواج كان بشيراً بوقوف الحظ إلى جانبه وقد امتلأت يده من تلك الفتاة الجميلة الجموح وأصبح سيد أبو النمرس بتلك الأطيان الواسعة وبما له من ثروته الخاصة

ولكنه مع ذلك يذكر ما بينه وبينها من التفاوت فى السن ، وأنها كانت مخطوبة فتى فى ربيع الصبا ونضرة الشباب، فكان مجرد تسرب تلك الذكرى إلى خاطره يزعمه ويكدر عليه صفوه . نعم إنه قطع خط الرجوع على تلك العلاقة بمقد زواجه منها . ولكنه كان يريد أيضاً أن تنساها هى وأن يتصرف قلبها إليه وحده ، فاشتري لها حلياً ثمينة ونفحها

مبلغاً من المال وفيراً كهدية رأى من الواجب أن يتقدم إليها بها على أثر ذلك العقد

إلا أنه بعد كل هذا يمود فيشمر بالفارق بينها وبينه من حيث الثقافة وكرم الثبت ، فكان كلامه بالتحدث إليها فى شأن الغرض من هذا الزواج ينحل عزمه ويقف لسانه فى فمه . وهكذا مرّ شهر واثنتان . حتى إذا ضاقت نفسه أمسك بأطراف شجاعته وأح لها بغرضه ؛ فأرسلت ضحكة ساحرة ساخرة وهى تقول : لم هذه المجلة وقد أصبحت لك ؟ ولكن الذى تطلبه أدعى إلى الصبر والتحمل حتى أروض نفسى عليك فنمتزج ونألف . أما قبل ذلك فلا يكون للزواج إلا معنى واحد هو الاغتصاب ولا أظن أن نفسك الرقيقة ... ترزاه وعند ذلك يغلب عليه الخجل ويتقهقر . وقد خيل إليه مع ذلك أنها بدأت تجاهد نفسها لتنسى ذلك الذى كان أحق بها منه . وهكذا يمر شهران آخران ...

وكانت أم صادق على أثر وفاة زوجها تقيم فى دار الشيخ وهى لا تجهل ما بين ابنته وولدها من الصلة، وأن النية كانت متجهة إلى زواجهما منه؛ فلما رضى لها أبوها غيره انكسرت نفسها وغلب الحزن عليها وهى شيخة مضمضة فقضت نحبها . وكان فى ذلك فسحة جديدة تحول بين عبد الرازق بك والتحرّق وبين أمنيته

ولكن وسيمة فى خلال ليالى المأتم طرقت أذنها همس بين بعض الزائرات عن ذلك الزوج الذى صرح أباه بأنه لم يسبق له زواج مع أنه تزوج من اثنتين على التماقبات ماتت إحداهما مسمومة والأخرى محروقة . وعند ذلك اضطربت نفسها واسودت الدنيا

وجدت أن إحداها خطاب مرسل من نفس ذلك القاتل وفي أسفله الرد عليه . وعند ذلك انتفضت مذعورة وكأنها استيقظت من حلم مزعج عنيف . لأنها رأت أن خط الخطاب لا يفترق في شيء عن خط زوجها . إذن لم يكن ذلك القاتل غير هذا الذي تسكن معه وحدها في تلك الدار . وقد وجدت أيضاً في درج آخر مدية ذات حدين ملوثة بدم متجمد فكاد ينشئ عليها وقد ارتجف جسمها وزاغ بصرها ولكنها تعالكت نفسها وأعدت كل شيء إلى مكانه وتلك السلسلة حيث وجدتھا .

وكانت فترة الأربعين قد انقضت ، وسيمود من سفره في مساء الغد ، وهو لا بد سيكرهها على تنفيذ ما يطلب منها بعد أن صبر عليها وفرغ صبره ، فلم تر إلا أن توقف مأمور القسم القريب على كل ما اهتمت إلى كشفه

ولقد وقع الذي حسبته ، فأنها ما كادت تستقبل زوجها حتى ضمها إلى صدره وهو يقول : هذه المرة لن يقبل منك أي عذر ، فحسبي تلك الشهور الطوال التي حالت بينك وبينى . تعالى يا حبيبتي . ثم جلس إلى جانبها فوق منضدة بالغرفة ، ولكنها ابتعدت عنه فاقترب هو منها قائلاً :

يظهر أنك لازلت تفكرين في ذلك الأبله الذي قطعت عليه سبيل كل أمل فيك . ثم لم لا يستمتع الكهول كالشبان بحسنات الحياة ؟ ومع ذلك فهل يظهر شبابك الفص إلا إلى جانب شيخوختي . أو يبدو رونق شمرک الفاحم إلا إذا جاوره هذا الشمر الأبيض الذي بكل رأسي ؟ اعلمى يا وسيمة

في عينها ، لأنهما إما أن تكونا آثرنا الموت على شراسة هذا الرجل ؛ وإما أن يكون هو الذي قضى عليهما . وليس مثل هذا يعمد عليه وهو الذي ماتت نفسه فندس إلى أبيها ذلك العقد الزور

ولكن الذي شغل بالها وأفزعها أنها ربما كان لها عنده مثل هذا النصيب أيضاً . وعند ذلك تفكر في العودة إلى حجر أبيها ثم تسمى في الطلاق على أية صورة . إلا أنها تمود فتصطدم بذلك الفرض الذي ضحت بنفسها من أجله وهي لو فعلت ذلك لقصت على كل ما هيأت نفسها له ومهدت لهذا الوحش سبيل الخروج ظافراً بما حصل عليه دون جزاء . فشد ذلك من عزمها وضاعف شهوة الانتقام فيها وقد أصبح عليها أن تنتقم لأبويها وحبيبها فحسب ولكن لبنات جنسها أيضاً .

لذلك رأت من حسن الرأي أن تأخذه باللطف والحيلة لتكشف حقيقته ، فلما عادت إلى داره وأثر الحزن باد في عينها هشت له فتمره السرور ولمس في ذلك دليلاً جديداً على تقدمها في طريق نسيان غريمه .

ونشاء المقادير أن يسافر لشأن من الشؤون وكان قد نسي سلسلة مفاتيحه ومن بينها مفتاح مكتبه فأمرعت تعشش في أدراجها حتى وقع نظرها على حزمة من خطابات مرسله من بعض المقاولين بمنوان « عطية الجحش » وكانت تعلم أن هذا الرجل هو الذي حكم عليه لقتله والد حبيبها . فما الذي جعل هذه الرسائل تستقر في هذا المكتب ؟ وما هي العلاقة التي تربط زوجها بهذا الرجل ؟ وبينما هي في سبيل جرد ما بقي من تلك الرسائل

أن أنفاسك العاطرة هي كنزى الذي يعيد إلى حرارة الحياة ، وأن سحر عينيك ليثبت في عيني الدابنتين القوة والنور من جديد . فلم تقفين بينى وبين هذه السعادة ؟ تعالى يا حبيبتى . اقتربى منى

ولكنها مع ذلك ازدادت بعداً ثم التفتت تسأله :

— قل لي أولاً أصبح أنك لم تزوج من قبل ؟

— لقد صارحت أباك بهذا

— ولكن الناس يقولون إنك تزوجت من

قبل بائنتين

— كاذبون . وحتى لو صح هذا فاذا فيه ؟

— ولكنهم يقولون أيضاً إن إحداها ماتت

مسمومة والأخرى محترقة

— ليكن كل هذا . ولكن اعلمي أن الحياة

مرحلة قصيرة يجب أن نجتازها من طريق السال

والجاء والحب . وقد يخدع الأغبياء مظاهر التقوى

بالأسرار التي تشق جيبتي . وبهذه المسبحة التي

تحرك حباتها أصابعى . وما كانت الأولى إلا سطور

دهانى وتديرى ، ولا الثانية إلا الجبل الذى أشد به

على عنق كل من يقف فى طريقى . وإذا كنت قد

تزوجت بائنتين قضتا نحبهما على الصورة التى ذكرت

فليس لأى كان حساب بشأنهما عندي

— وعذاب الضمير ؟

— ها . ها . وهل تريد أن يكون لى يسمى

إلى مباحج الحياة ضمير ؟ لم تكن الحياة فى أى

عصر إلا شملة تسمرها المصلحة ويذكها حب

النفس . فلا تظنى أن رجل اليوم تغير عن رجل

الماضى فكلاهما واحد فى البطش وإن اختلفت

وسائل كل منهما

— وشرف النفس ؟

— لا نصيب لها منه ولا من الوجدان والرحمة

وهذه الحرافات التى ينكرها كل من يريد أن يحيا .

ولقد كان رجل القرون الغابرة إذا نازل خصمه

ترك له السبق فى الطعن ولو مات مدفوعاً إلى ذلك

بغروسية ذهب زمنها . وكان قرنى إذا صرعى ندم

وبكأنى . أما اليوم فقد يقتلنى فى الصباح وفى المساء

ويقبل على الطعام والشراب والنساء كأن ماجرى لم

يكن : هذه هى شريعة العصر الحاضر عصر المادة .

وأخيراً ، فما دمت زوجتى فلا مناص لك منى

— بالقوة ؟

— بكل الوسائل . والآن لا أطلب عندك

إلا كلمة واحدة نعم أو لا .

— لا

— ولكنى لازلت أحتفظ بمعية غير بكر ...

لأنها جربت كيف يكون مصرع كل من يتعدها

نغذى حذرك واعلمى أنى قادر على أن أغيبها فى

صدرك فألفحك ببينك الراحلتين وإلا لا أكن

أنا عبد الرازق بك تامر ...

— أو عطية الجحش

— ماذا ؟ أوقفت على هذا أيضاً ؟ إذن فلتنذهبي

فى أثرها .

وعند ذلك انطلق إلى غرفة مكتبه فخرج رجال

الشرطة من مكائهم . حتى إذا عاد والمدينة فى يده

أحاطوا به

وهكذا نفذ حكم الإعدام وانتصر الحق .

محمود خميرت

(٢)